

إن الحكاية وسيط لتوصيل التجربة وربط ووصل الأحداث والأفعال التي تصور واقع الحياة وما فيها من تضاد، كما تصور القهر والظلم وغياب العدالة، ثم تأتي بالمنقذ البطل ليعيد الصورة إلى ما ينبغي أن تكون عليه حياة الإنسان. وفي أحيان كثيرة تستمد زخرفها من ممارسات ومعتقدات، حيث نشأت عليا الهلالية في بيئة بدوية، وكانت فتاة رائعة الجمال تحب الشعر والفروسيّة وكان لها أخ يدعى "سالم" مُتصفًا بالشجاعة والفروسيّة والذكاء، ومشهور بأنانيته ونرجسيّته. تزوجت علياء من أحد رجال الحي ودعت ربها أن تنجب ولدًا يمتلك صفات أخيها سالم. استجاب المولى لدعائهما وأنجبت ثلث أولاد وثلاث بنات. كبر الأولاد وفي إحدى أسفار سالم ومغامراته طلب من شقيقته أن يصطحب أحد أبنائهما في رحلة، وبعد تردد أرسلت معه ولدها الكبير الذي امتن سالم نكاءه فوجده دون المستوى وكذلك الحال حين أرسلت معه ولدها الثاني. ألحَّ على شقيقته أن ترسل معه ولدها الأصغر الذي أثبت شجاعة وذكاءً نادرين خلال الرحلة أثارتا أناية سالم ودفعته إلى فكرة التخلص من ابن شقيقته حتى لا يكون منافساً له في المستقبل. وبالفعل جعله ينزل داخل بئر مهجور ملأى بالأفاعي التي لدغته ومات متأثراً بسمها. عاد سالم أدراجه بعد أن دفن ابن شقيقته وأوصى ملأحاً مرباه إلى ديرة عليا ويقول لها: عندي من الخبر عن هذين الاثنين، تغيب واحد وما بقي إلا "أشنم الرأس شايب" وحين أبلغ الملاح عليا بذلك صُعقت من شدة الحزن والألم فقدت أعصابها وكسرت ساق الملاح، ودثرت خادمها من على سطح البيت فهو ميتاً. وحين وصل سالم أخبار البنت الكبرى أن أخاهما عزيز في سوق البصرة يبيع ويشتري، والتي يطول الغياب ياب الغنائم. صدقت البنت الكبرى وكذلك الوسطى إلا أن ذلك لم ينطل على الصغرى التي صاحت قائلة "والله يا خالي لو عزيز حي بتاتيني البشائر عند الطيور الطائرة، إلا عزيز ذاريه عليه الهبايب" وكان عزيز قد كتب على سرج الناقة أبياتاً شعرية كثيرةً ما رددها أهل الحي: طاحت دلو الهلالي يوم اليذابيا عقد لها المزروبي وما عوّل بالربا بطّه حنيش صايب غرز نوابها يوم أردفه جدامه دمعت سكاياباطاحت عصاتي وخرت بين الروابيا عقرموا على القودا سبوقن في المدى وسيفي سوى صقايل مسنون ماحلا دفنوني في ديرة قفرية فيها البويم يحدى